

العنف السياسي: هل هو إرهاب؟

د. فارس بريزات
مركز الدراسات الإستراتيجية
f.braizat@css-jordan.org

ما هو الحد الفاصل بين الإرهاب والمقاومة؟ وهل يمكن تبرير الإرهاب وسيلة شرعية للمقاومة؟ وهل يمكن إعتبار الاعتداء العسكري أو التدخل السافر في شؤون مجتمع ما من قبل دولة أخرى مبرراً لاستخدام العنف ضد مصالحها في أي مكان؟ كثر ترديد هذه الأسئلة خلال السنوات التي تبعت أحداث الحادي عشر من أيلول 2001 وما تزال الإجابات عليها موضع جدل سياسي وقانوني وأخلاقي. فعلى الرغم من احتلال موضوع الإرهاب مكانة متقدمة في الأجندة الدولية وفي الأمم المتحدة إلا أن تعريفه ما زال مبهماً نظراً لما يكتنفه من انحياز مع أو ضد مصالح الدول والمنظمات المعنية بالموضوع. وهنا تبرز حدود الفصل بين الإرهاب والمقاومة ولكن دون أن يكون عليها اتفاق بين الأطراف كافة. بينما تعتبر الولايات المتحدة وإسرائيل حركة حماس وحزب الله منظمات إرهابية وغير شرعية على الرغم من تحقيقهما انتصارات انتخابية، ترى الأغلبية من الرأي العام العربي بأنهما منظمات مقاومة مشروعة.

ورافق الحوار حول الإرهاب ومفهومه جدل أخلاقي تتنازع فيه العدالة والحرمان والحق والمصالح. وبرز فرق بين تعريف العمليات والمنظمات التي تقوم بها من حيث مدى ملائمة وصفها "بالإرهابية". ففي كثير من الأحيان نجد اختلافات بين تعريف عملية ما بأنها إرهابية أم لا وتصنيف المنظمة التي تقوم بها بأنها منظمة مقاومة مشروعة أم لا. التطور الذي نتج عن هذا الحوار وهذه الاختلافات على صعيد الموقف الأخلاقي هو التأكيد على رفض العنف السياسي من قبل النسبة الأكبر من الرأي العام العالمي مع وجود من لا يرى ضير باستخدام العنف لتحقيق مطالب مشروعة من وجهة نظر أصحابها. الاستثناء المتوقع لهذا الاتجاه هو أن المجتمعات التي تقاوم الاحتلال والمتأثرة به سواء بطريقة مباشرة أم غير مباشرة هي الأكثر قبولاً بالعنف السياسي كخيار تكتيكي مثله مثل المقاومة المدنية والمفاوضات.

إلا أن ما لم يتم الحديث عنه بنفس المستوى من التركيز هو إرهاب الدولة المنظم الذي ينفذه جيش نظامي بناءً على تعليمات من السياسيين "المدنيين". يبدو هذا النوع من العمليات أكثر بروزاً في حالة الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة والاحتلال الأمريكي في العراق ويأخذ أشكال مختلفة من القتل المباشر إلى الحصار والتجويع. لكن الحديث عنه عادة ما يأخذ صفات ولغة مختلفة. لا تستخدم وسائل الإعلام واستطلاعات الرأي مصطلحات الإرهاب عند الإشارة إلى هذين الإحتلالين على الرغم من أن النتائج المترتبة على ما يقوم به الجنود هو إرهاب من حيث قتل الأبرياء وترويع المدنيين. تثير هذه الفروقات أسئلة كثيرة حول مدى إمكانية إيجاد تعريف ينطبق على الإرهاب في كل مكان بحيث يشمل إرهاب الدولة وإرهاب الأفراد والمنظمات غير التابعة لدول والعبارة لها مثل القاعدة. من المفترض أن يتم تعريف الإرهاب بشكل شمولي بحيث يُعرّف الحدث بغض النظر عن من الذي يقوم به. عندها يُصبح موضوع الشرعية أكثر جدية في تعريف العمليات التي تستهدف المدنيين بأنها إرهابية أم لا.

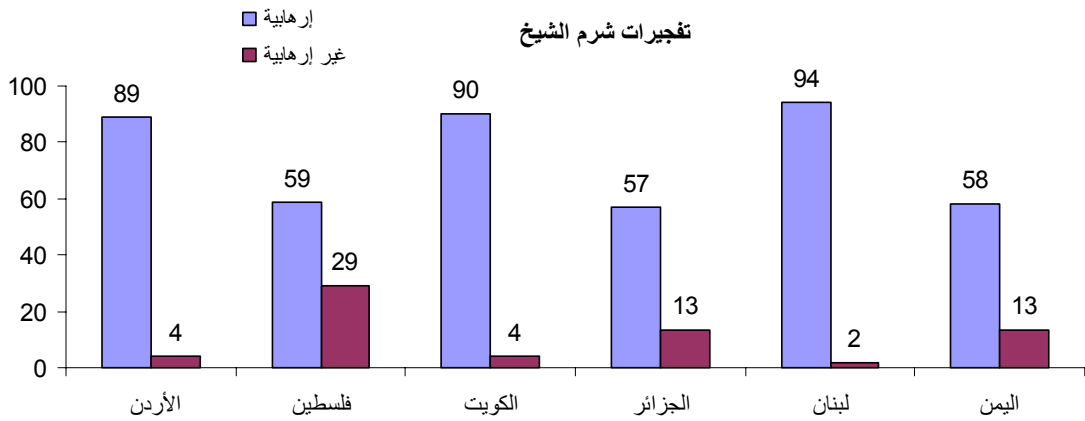
يتيح مشروع مقياس الرأي العام العربي بيانات مثيرة للإهتمام حول تعريف الإرهاب من وجهة نظر الرأي العام العربي. حيث طُلب من المستجيبين لاستطلاعات المشروع أن يجيبوا على السؤال التالي لعدد من العمليات "كيف تصف كلاً من العمليات التالية هل هي إرهابية أم غير إرهابية؟" وشملت القائمة العمليات التالية:

1. (/ /) -
2. (/ /)
3. ()
4. ()
5. ()

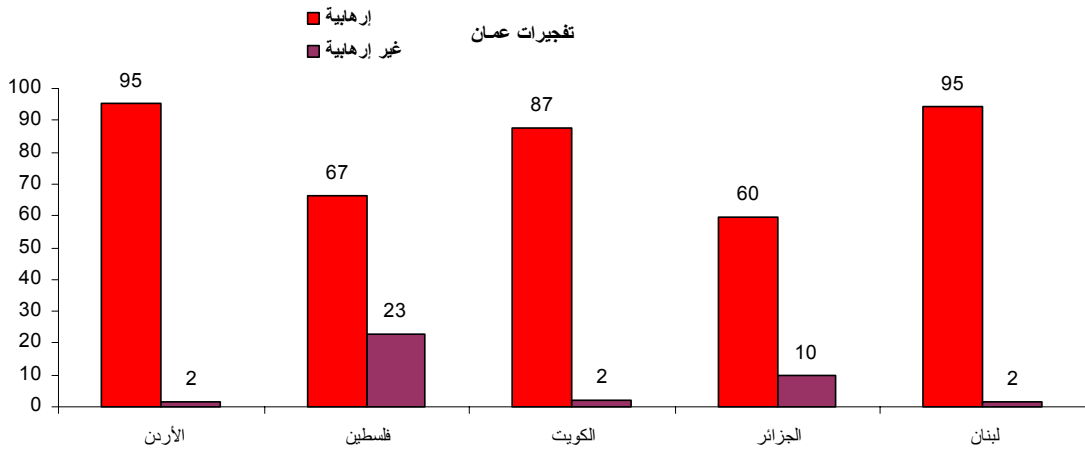
يُظهر الرأي العام العربي تعددية في وصف هذه العمليات كما أن الاختلافات بين المجتمعات العربية تبدو واضحة وترتبط، بشكل ما، بتاريخ العنف السياسي في هذه المجتمعات. ولكن تاريخ العنف السياسي هو ليس الوحيد الذي يُفسر توجهات الرأي العام تجاه هذه العمليات. وسنأتي لهذه التفسيرات في دراسة تفصيلية لاحقاً. ولكن من الملاحظ أنه على الرغم من تعرض هذه المجتمعات جميعها لعمليات عنف أودت بحياة مدنيين إلا أن التباين في درجة وصف هذه العمليات بأنها إرهابية يُثير كثير من

الأسئلة حول مكونات الرأي العام في هذه البلدان حول موضوع العنف السياسي. تشكل تفجيرات شرم الشيخ التي استهدفت فنادق سياحية حدثاً مهماً لقياس الرأي العام العرب تجاه العنف السياسي لعدة أسباب من بينها أن استهداف مصر يمس العرب بشكل أكبر بحكم موقعها الجيوسياسي وأهميتها الإستراتيجية للعالم العربي. وأن ما يحدث في مصر يتنقل على مدى السنوات اللاحقة للدول العربية المجاورة. فعلى الرغم من المشاكل الاقتصادية التي تواجهها مصر إلا أنها ما زالت تحظى باحترام جزء كبير من العرب وهم بذات الوقت يفرقون بين النظام السياسي المصري الراهن ومصر البلد. من جهة أخرى قد ينحاز سكان بلد ما ضد العنف السياسي في بلدهم، ويكونوا أقل انحيازاً ضد العنف في بلد آخر حتى لو كان عربياً، لذلك يكون للسؤال عن مصر في كل من الأردن ولبنان والكويت والجزائر واليمن وفلسطين أهمية خاصة في كل بلد من هذه البلدان.

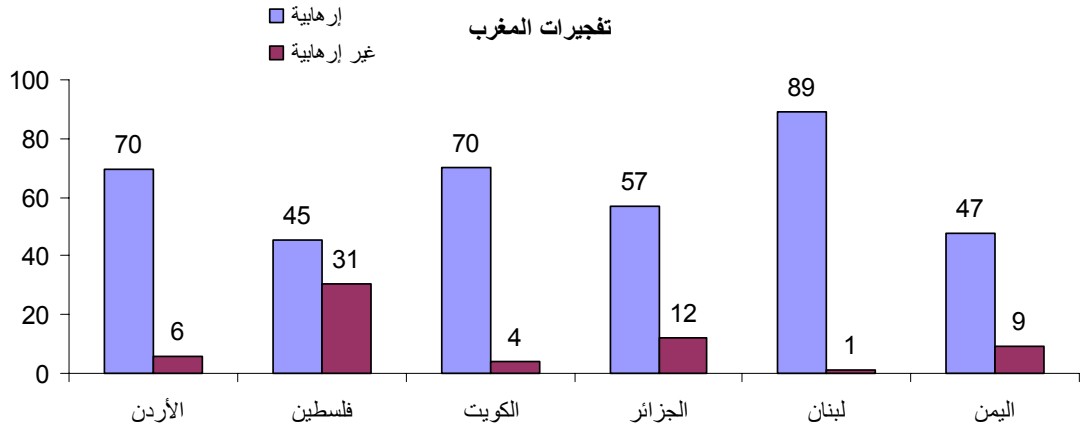
النقطة المركزية في موقف الرأي العام العربي تجاه العنف هي أن الأغلبية من العرب تصف تفجيرات شرم الشيخ وجزيرة ذهب بأنها إرهابية. ولكن توجد إختلافات جوهرية بين مجتمع عربي وآخر في درجة وليس في طبيعة الموقف من هذه التفجيرات. مثلاً، يصف 94% من اللبنانيين، و 90% من الكويتيين، و 89% من الأردنيين، و 59% من الفلسطينيين، و 58% من اليمنيين، و 57% من الجزائريين هذه التفجيرات بالإرهابية. ومن الملاحظ أن الفلسطينيين يختلفون عن غيرهم في أن 29% وصفوا هذه التفجيرات بأنها غير إرهابية، يتبعهم 13% في كل من اليمن والجزائر. فيما كانت نسبة الذين وصفوها بأنها غير إرهابية في الأردن 4% وكذلك في الكويت و 2% في لبنان.



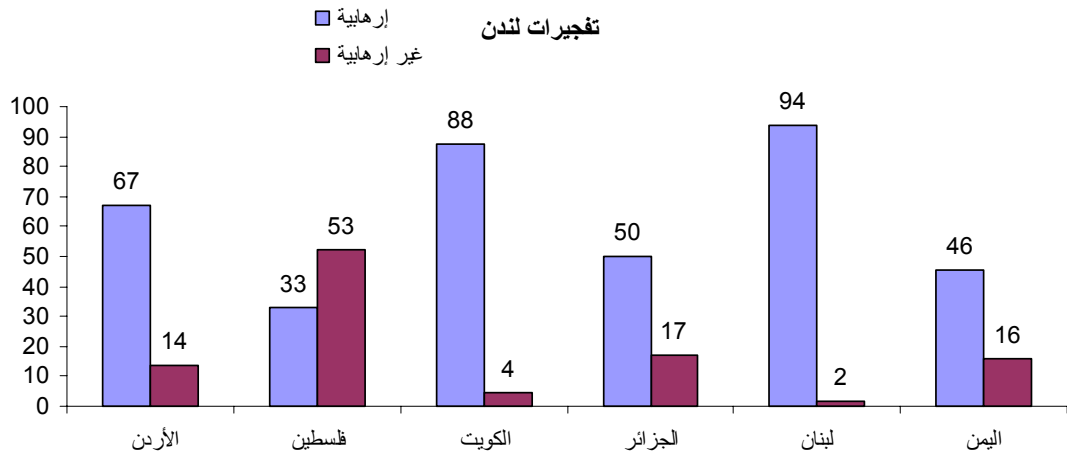
فيما يتعلق بتفجيرات فنادق عمان في شهر تشرين الثاني 2005، يصفها 95% في كل من لبنان والأردن و 87% في الكويت، و 67% في فلسطين، و 60% في الجزائر بأنها إرهابية. ومن الملفت للنظر أن النسبة الأعلى التي وصفتها بأنها غير إرهابية كانت في فلسطين (23%). ومن الملاحظ هنا أن توجه الرأي العام العربي تجاه تفجيرات عمان لا يختلف كثيراً عن توجهه تجاه تفجيرات شرم الشيخ وذهب وإن كانت هناك إختلافات في الدرجة بين مجتمع وآخر.

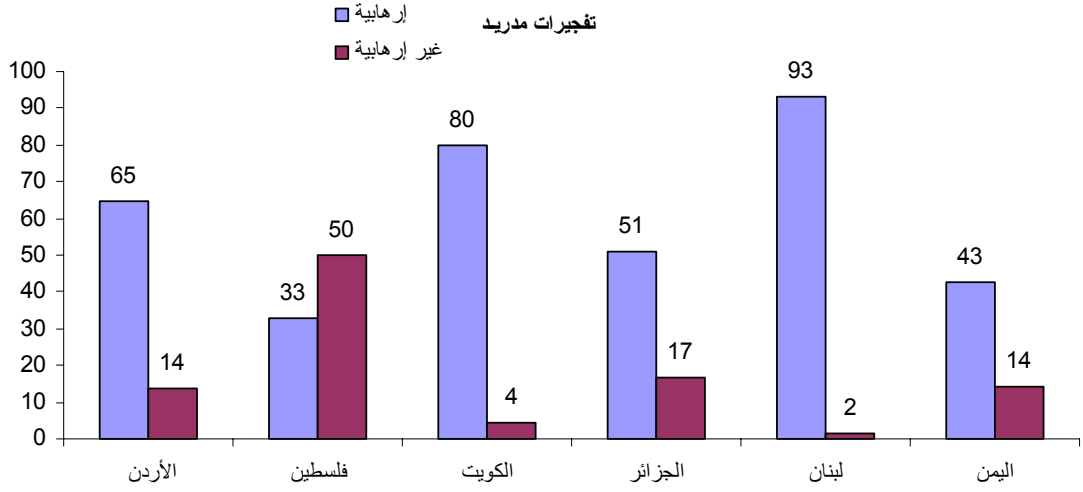


وفيما يتعلق بتفجيرات المغرب (كازابلانكا) نجد أن مستجبي الاستطلاعات في بلدان المشرق العربي الذين يصفونها بأنها إرهابية أقل نسبة مقارنة مع تفجيرات عمان وشرم الشيخ. ففي الأردن والكويت وصفها 70% بأنها إرهابية بنحو 90% أعطوا ذات الوصف لتفجيرات شرم الشيخ – أي بانخفاض قدره 20 نقطة مئوية. أما في الجزائر فكانت النسبة ذاتها للحدثين (57%). وفي فلسطين كانت نسبة الذين وصفوا تفجيرات المغرب بأنها إرهابية 45% مقابل 59% لشرم الشيخ. ولم تتغير النسبة بشكل جوهري في لبنان (94% لشرم الشيخ مقابل 89% للمغرب). المجتمعات الأكثر ثباتاً على موقفها تجاه العنف الذي يستهدف مناطق عربية هي الجزائر ولبنان. بينما هناك فروق كبيرة في مواقف المجتمعين الأردني والفلسطيني واليميني بين عملية عنف وأخرى خصوصاً عند مقارنة الموقف تجاه تفجيرات شرم الشيخ مع الموقف تجاه تفجيرات المغرب.



يزاد الموقف تعقيداً وإثارة في الوقت نفسه عند مقارنة مواقف الرأي العام العربي تجاه عمليات العنف والتفجير في العالم العربي مع العالم الغربي. حيث نجد انخفاض بنحو 20 نقطة وأكثر قليلاً في وصف الأردنيين لعمليات لندن ومدريد بأنها إرهابية مقارنة بعمليات شرم الشيخ. المجتمعات التي لا تبدي تغييراً تجاه هذه العمليات سواء كانت في البلدان العربية أم الغربية هي الكويت ولبنان حيث وصفت الأغلبية الكبيرة بين 80%-95% هذه العمليات بالإرهابية. ومرة أخرى يبدو المجتمع الفلسطيني هو الوحيد الذي وصفت الأغلبية منه عمليات التفجير في لندن ومدريد بأنها غير إرهابية (53% و50% على التوالي).





اعتبرت الأقلية في المجتمع اليمني عمليات لندن ومدريد بأنها إرهابية ولكن من المهم هنا الإشارة إلى أن نسبة من قالوا "لا اعرف" عند إجابة هذا السؤال كانت نحو ربع المستجيبين اليمنيين.

تشير هذه المعلومات إلى أن المجتمع الفلسطيني بالمقارنة مع المجتمعات العربية الأخرى هو الأكثر ميلاً للقبول بوصف هذه العمليات بأنها غير إرهابية من غيره. ولعل مرد هذا الموقف هو ممارسات الاحتلال الإسرائيلي من جانب وانحياز الغرب بشكل عام لإسرائيل خصوصاً بريطانيا (تاريخياً وحالياً) مما يُفسر ولو جزئياً موقف الرأي العام الفلسطيني تجاه تفجيرات لندن. ولكن لم يكن لدى أسبانيا مواقف متطابقة مع مواقف بريطانيا ومع ذلك لم يختلف موقف الرأي العام الفلسطيني في وصفه لتفجيرات مدريد. فكيف يُمكن تفسير هذه المواقف؟ احد التفسيرات هو أن الأغلبية من المجتمع الفلسطيني تحتج حتى من خلال التعبير عن مواقفها في استطلاع الرأي ولسان حالها يقول عندما تعترفون وتصفون ما يجري ضدنا من قبل إسرائيل بأنه إرهاب سنصف ما يجري عندكم بأنه إرهاب. بالتأكيد أن هذا التفسير لا ينطبق على المجتمع الفلسطيني كاملاً بل على جزء كبير منه.

ولعل التفسير السياسي هو الأكثر إقناعاً. ونجده في موافقة الأغلبية من الفلسطينيين (63%) على العبارة القائلة "أن تدخل الولايات المتحدة في المنطقة يبرر العمليات المسلحة ضدها في كل مكان" وبالنسبة للفلسطينيين وغيرهم من العرب تعتبر بريطانيا حليف إستراتيجي للولايات المتحدة وعضو في حلف الناتو كما حال اسبانيا تحت حكم اليمني أثنار الذي خاض الحرب على العراق إلى جانب الولايات المتحدة.